

سورة الشرح مكية

وآياتها ثمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۖ
الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ
فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ
فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ۖ

يقولُ تعالى ذِكرُهُ لِنبيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مُذَكِّرُهُ آيَاهُ عَنْدَهُ ، وَإِحْسَانَهُ إِلَيْهِ ، حَاضِمًا لَهُ بِذَلِكَ عَلَى شُكْرِهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، لِيَسْتَوْجِبَ بِذَلِكَ الْمَزِيدَ مِنْهُ : « أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ » يَا مُحَمَّدُ ، لِلْهُدَى وَالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَعْرِفَةِ الْحَقِّ « صَدْرَكَ » فَتُلِينِ لَكَ قَلْبَكَ ، وَنَجْعَلُهُ وَعَاءً لِلْحِكْمَةِ « وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ » يَقُولُ : وَغَفَرْنَا لَكَ مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ ، وَحَطَطْنَا عَنْكَ ثِقَلَ أَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كُنْتَ فِيهَا . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

وقوله : « الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ » يَقُولُ : الَّذِي أُثْقِلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ ، وَهُوَ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْبَعِيرِ إِذَا كَانَ رَجِيعٌ سَفَرًا ، قَدْ أَوْهَنَهُ السَّفَرُ ، وَأَذْهَبَ لِحِمَاهُ : هُوَ نِقْضُ سَفَرٍ .

وقوله : « وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ » يَقُولُ : وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ، فَلَا أُذَكِّرُ إِلَّا ذُكِّرْتَ مَعِيَ ، وَذَلِكَ قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو بن الحارث ، عن دراج ، عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « أتاني جبريل فقال : إن ربي وربك يقول : كيف رفعت لك ذكرك ؟ قال : الله أعلم ، قال : إذا ذُكِّرْتَ ذُكِّرْتَ مَعِيَ »^١ .

^١ أورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (١٧٤٦) .

وقوله: « فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا » يقولُ تعالى ذِكْرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِنَّ مَعَ الشَّلَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا ، مِنْ جِهَادٍ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وَمِنْ أَوْلِهِ : مَا أَنْتَ بِسَبِيلِهِ ، رَجَاءٌ وَفَرَجًا بَأَنْ يُظْفِرَكَ بِهِمْ ، حَتَّى يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ هذه الآية لما نزلتْ ، بشرَ بها أصحابه وقالَ : « لَنْ يَغْلِبَ عُسْرُ يُسْرَيْنِ »^٢ .

وقوله : « فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ » اختلفَ أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلكَ ، فقالَ بعضهم : معناه : فإذا فرغتَ من صلَاتِكَ ، فانصَبْ إلى ربِّكَ في الدعاءِ ، وسَلِّ حاجاتِكَ .

وقال آخرونَ : بل معنى ذلكَ : فإذا فرغتَ من أمرِ دُنْيَاكَ ، فانصَبْ في عبادَةِ ربِّكَ .

وأولى الأقوالِ في ذلكَ بالصوابِ ، قولُ مَنْ قالَ : إِنَّ اللهَ تعالى ذَكَرَهُ ، أمرَ نَبِيِّهِ أَنْ يجعلَ فراغَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ بِهِ مُشْتَغَلًا ، مِنْ أمرِ دُنْيَاهِ وَآخِرَتِهِ ، مما أَدَّى لَهُ الشَّغْلَ بِهِ ، وَأَمْرَهُ بِالشَّغْلِ بِهِ إِلَى النِّصْبِ فِي عِبَادَتِهِ ، وَالِاشْتِغَالِ فِيما قَرَّبَهُ إِلَيْهِ ، وَمَسْأَلَتِهِ حاجاتِهِ ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذلكَ حالًا مِنْ أحوالِ فراغِهِ دُونَ حالِ ، فسواءَ كُلِّ أحوالِ فراغِهِ ، مِنْ صلاةٍ كانَ فراغُهُ ، أو جِهَادٍ ، أو أمرِ دُنْيَا كانَ بِهِ مُشْتَغَلًا ، لِعُمومِ الشرطِ فِي ذلكَ ، مِنْ غيرِ خصوصِ حالِ فراغٍ ، دُونَ حالٍ أُخْرَى .

وقوله : « وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ » يقولُ تعالى ذَكَرَهُ : وَإِلَى رَبِّكَ يَا مُحَمَّدٌ فَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ ، دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنْ خَلْقِهِ ، إِذْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَوْمِكَ قَدْ جَعَلُوا رَغْبَتَهُمْ فِي حاجاتِهِمْ إِلَى الأَلْهَةِ وَالْأَنْدَادِ . وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذلكَ قالَ أهلُ التأويلِ .

آخر تفسير سورة ألم نشرح

^٢ لم يصح المرفوع منها؛ انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني (٤٧٨٤) .